رحلتي بين مملكتين

المملكة العربية السعودية

والمملكة الأردني الهاشمية

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/٤/١٤٨٤)

٨١١.٩
القحطاني، محمد
رحلتي بين مملكتين: المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية/ محمد بن مشبب ال عبود القحطاني_ عمان: دار المأمون، ٢٠٠٩ .
(٨٨) ص
ر.أ: (٢٠٠٩ /٤/١٤٨٤).
الواصفات: /الشعر العربي//العصر الحديث//

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



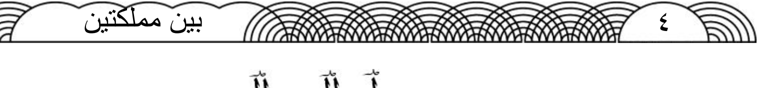
دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

رحلتي بين مملكتين

المملكة العربية السعودية
والمملكة الأردنية الهاشمية

محمد بن مشبب آل عبود القحطاني





مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فطالما كرهت المقدمات، وكنت كلما فتحت كتابا طويتها ومضيت، أما اليوم فإني أجد نفسي ولابد لي من تبيان بعض الأمور بين يدي ديواني هذا، فلم يكن همي من قول الشعر نشره، وإنما أطوي به الطريق وأقطع به الليل، وأواسي به نفسي في غربتي، وربما وصفت به ما في خلجات نفسي.

فاستحضر رعاك الله عند قرائتك للقصائد أنها ـ في غالبها ـ كانت وقت رحلتي من المملكة العربية السعودية إلى المملكة الأردنية الهاشمية، لطلب العلم والتحصيل، ولذا سميته (بين مملكتين)، ولا يخفاك ما يمر به الطالب البعيد عن أهله وأحبابه من الشوق إليهم، وذكره لهم غالب وقته، وربما طغى ذلك على ما سواه في شعري، فكان أصدق ما فيه، وأما الغزل فأعوذ بالله من أن أقول الشعر فيمن لا تحل لي، ولي بيتان طالما رددتهما على مسمع من صحبي:

أعـوذ بالله من حـُب يدنسني
ويطرح الـذل في وجهي وأعماقي
أخشى الإلـه وعرضي لا أدنسـه
هذا ـ إنِ اختلّت الأعراف ـ ميثاقي

وإذ أضع شعري بين يديك، فإنه من الكلام الذي حسنه حسن، وقبيحه قبيح، ولا شيء أنفع لي من نقد بناء أو نصيحة صادقة.

وكتبه

محمد بن مشبب آل عبود القحطاني

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان
يوم الأحد ١٤٣٠/٣/٤هـ
الموافق ٢٠٠٩/٣/١م

بَيْنَ مَمْلَكتينْ

تشرفتُ بإلقاء هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم ختاماً للأيام الثقافية السعودية في رحاب الجامعة الأردنية، في حضور كريم، شرفه سفير المملكة العربية السعودية والمحلق الثقافي السعودي ووزير التربية والتعليم الأدرني ورئيس الجامعة الأردنية في عدد من الأساتذة الأفاضل، وحشد غفير من الطلبة ملأ مدرج الأمير الحسن بن طلال بالجامعة الأردنية.

وبعنوانها صدّرت ديواني هذا وللأسف فقد فاتني تقييد اليوم والتاريخ ولكن أظن أن المناسبة كانت في فبراير عام ٢٠٠٥...

قـُم يـا فصيحَ النّطق بـاهِ بها الجُمَلْ
وانْثرْ عبيرَك في القصيدِ المُرتَجَلْ
حِيكَـتْ علــى مــا لا يُــرامُ مَثيلُهــا
كــلا ولا طــاق العَجـولُ المُنفعـلْ

ويلـوحُ بـين البيـت والبيـت الـذي
يتلـوه إيضـاءٌ كنـوض مشـتعلْ
تَسـمو بعينَـيْ كـل غِـبٍ عاقـلٍ
وتُرى فما تُطوى على لُبّ الخَللْ
إنّ المعـاني فـي اجتمـاع جميلِهـا
تُوحي إليكَ بما يكون من المَثَلْ
فتـرى رؤاهـا والغِشـاوة أغلَفـت

ما كان أبدتْ من مخابِئها الحُلَـلْ

يـا دُرة ً عُرفـتْ جَميـلُ صِـفاتها

فيها الصفاء على الجمال المُشتَملْ

إمشي كما تمشي العذارى وضّحي

أثرَ الدِّماء على الخدود من الخَجلْ

أنـتِ البيـانُ وعـلّ كَفاً صَـافحَتْ

أبيـاتَ شـعرٍ لا يراودها الزّلـلْ

قُـمْ يـا بيـاني عـنْ فـؤادي مُـوكلا

وانثـر جميـل الـنظم لـيس المُبتـذلْ

عنـي وعـنْ أصـحاب صـدقٍ آزروا

رحّبْ بِجَمْعِ ضيوف هذا المُحتَفلْ

حـيّ الـذي لنـا زائـرٌ فـي مـوطنٍ

جَمَـعَ الحضـاراتِ الحديثـةَ والأوَلْ

واذكـرْ لــه أنّـا تركنـا مَوطنـا

له في شغاف القلب أسماها مَحلْ

بـدرٌ سَـما فـوق النجـوم مَحَلّـه

وحقيقـةَ والبـدر مـا يـومٌ نـزلْ

بـدرٌ لَـهُ الأبصـارُ تسـمو صُـعّدا

وتـزال ترمُقـه علـى نحـوٍ وَجِـلْ

فتجـيءُ إنْ يـأتي لنـا أنـوارُه

أمّـا الظـلامُ فغـاب عنـا وارتَحـلْ

فـي مشـهدٍ يرنـو لعينـي صـورة

جلّ الذي سواهُ في ذا الكون جَلْ

أهـوَ المكـان مبـاركٌ فـي نـاظري

أهـي الـرّؤى أمْ أنّ قلبـي مَـنْ فَعَـلْ
عُـــذراً فهـــذي سُـــنّةٌ مِـــنْ قَبلنـــا
إنّ الحبيـبَ عـن الحبيـبِ لَمُرتَحـلْ
رَحلَـتْ مَطايانـا عـنِ الأرضِ التـي
فيهـا أمـينُ الـوحيِ حقـاً قـد نَـزَلْ
أرضٌ أضـــاءَ النـــورُ فـــي فلَواتهـــا
فأضـــاءَ قاطِبَـــةً لِكَـــونٍ فيـــه حَـــلْ
وإذا رأيـــتَ الكـــونَ فيـــهِ بُقعـــةٌ
وضّـــاءةٌ فيـــهِ فـــلا تســـألْ بِهَـــلْ
قُـلْ إنهـا أرضُ الحجـاز تبارَكَـتْ
وفَــديْتُها مِــنْ كــل نائبـــةٍ تَحِــلْ
والله إنــــي إنْ أحـــــبّ أحبُهـــا
حُباً تأصّل في الجذورِ مِنَ الأزَلْ
مِثْلِـي يُحِـبّ ومِثْلُهـا يُهـوى وفـي
مـا قلْتُ فيهـا دَحضـة لِذوي العَذَلْ
ومثالهـــا حُـــرٌ حَـــرِيٌ بالـــذي
قـد قِيـلَ فيـه وعِلـةٌ لـذوي العِلَـلْ
وإلـــى بـــلادٍ بُورِكَـــتْ جَنَباتهـــا
كانــتْ مســيرتُنا وكــان المُنتَقــلْ
أرضُ الشــآم وأرضُ عمّــان التـــي
هــيَ درةٌ فــي عقــدِ عِــزٍ مُتّصِــلْ
ضَـــمّتْ إلينـــا جَانِبـــاً مِـــنْ وُدهـــا
وكـذا تَعـوّدَتِ الشّـهامَة مِـن أزَلْ
الواحـــة الغنـــاءُ طـــابَ قِطافُهـــا

والمَورِدُ العذب الذي لا يضمحلْ
أرضُ البُطـولات القديمـةِ والتـي
بُنِيَـتْ بعـزم لـيس يعرفـه الكَلـلْ
أيـامَ كانـتْ وجهـة للفـارسِ الـ
مِغـوارِ يأتيهـا ويقصـدها البَطـلْ
رُصّـتْ جُيـوشُ المسـلمين بسـاحها
"والله أكبر" في القلوبِ وفي المُقَلْ
واليـومَ تُوردنـا مَناهـلَ عِلمهـا
ولَكَمْ يُوافِقُ صِدْقَ مَنْطِقِها العَمَلْ
وإذا وجـدتَّ نسـيم طيـبِ عَبيرهـا
فـأعْلَمْ بـأن الفُـلّ حيّـا والنَّفَـلْ
سَـهُلَتْ لَـكَ الأرضُ الوَعُـورُ وذَلّلَـتْ
واسْتبشـرتْ وعلـى خُطـاكَ الطّـلّ
هَـــــــــــــلْ

بـــادٍ عليكَ

بـادٍ عليـكَ الـذي تُخفيـه يـا رجـلُ
أمَـا أحـلّ البكـا التيهـانُ والوجـلُ
ما كان منك سوى مـا أنـتَ صـاحبه
ولا أتيـتَ الـذي فـي طيّـهِ الخَجـلُ
ولا انْثنيتَ عنِ الأمـرِ الـذي وَجِلَـتْ
مِنْ أجلِهِ أنفسُ الأبطـالِ فـانْجَفَلوا
أتيـتَ ترفُـلُ فـي الأثـوابِ ناصـعةً
والطيبُ منكَ إلى الأثوابِ ينتقلُ
وتحمـلُ القلـبَ لا يَحـوي ضَـغينَتَهُ
ويطرحُ الحِقدَ إنْ قـومٌ لـه حَمَلـوا
كـرّتْ عليـكَ الليـالي وهـي كالحـة
ففُرّقَـتْ ولهـا الأعـذارُ والعلـلُ
سقتـكَ كأسـاً مريـراً فانبريْـتَ لهـا
أسـقيتَها الضـيمَ نهـلاً بعده عَلَـلُ
وتعلــمُ الرّجــلَ اللاقيــكَ قولتَــهُ
يُريـدُ شـراً، وأنـتَ العاقِلُ الغَفِلُ
إذا التفَـتّ عــنِ الأنيــابِ مبتسـماً
إليـهِ خانـكَ منـهُ القـولُ والعمـلُ
رآك فـي غيـر شـيءٍ كـانَ يعرفـه
وغـرّه مِنـكَ حِلْمُ الحـالِ والجمـلُ
ثـم انثنـى عنـكَ يسـتفتي مروءتـه
يقـولُ مـا ضُـرَ أقـوامٌ اذا عقلـوا

يا قلبُ إما اعتراكَ القومُ من سفهٍ
فما يضرك ما يأتي به الجَهلُ
واذكرْ زماناً تولّى في رُبا عِنَمٍ[١]
سقاهُ دمعُ الغمامِ الواكِفُ الهطلُ
وعلّه علّه حتى روى ظمئي
وزانه كل ما تشتاقه المقلُ
كساهُ مما يَسُرُ العينَ منظرُهُ
وشاحَ خزٍ به النوّار والنفلُ
نسيمه كان يشفيني ويؤنسني
فها أنا واحتوتني دونه العللُ
وأشأمت[٢] نفسي الآمال أتبعها
فأصبح اليوم لقياكم هو الأملُ

---

(١) وادي عِنَمْ: قريتي التي ولدت ونشأت فيها، إحدى القرى التابعة لمحافظة سراة عبيدة، التابعة لمنطقة عسير جنوب المملكة العربية السعودية.
(٢) أي توجهت إلى الشام لطلب العلم والتحصيل.



القدسُ أرضي

هي أرضنا، وما يدب على الأرض جيل منا إلا ويولد معه الأمل، بنصر قريب، وفتح مؤزر، ولكن أنـّـا لنا ذلك وليس كثير منا على قلب رجل واحد، يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه، ويألـمُ مما يألم، ويكون حشو صدره هـمّ أسمى، وهمة أكبر.

أخي القارئ، هلاّ كنت سببا في وحدتنا، وطرح خلافاتنا لتكونَ بذلك ممن أهتـمّ لأمر هذه الأمة، أو لا، فلا أقل من أن لا تكون سببا في فرقتها....

القـدسُ أرضـي أيهـا الجـلادُ
وعلـى ثراهـا تنتثـر الأجسـادُ
ولعينهـا منـا العيـونُ رخيصـة
ولمجـدها التـاريخ والأمجـادُ
ولأجلها الأرواح أبخَس ما ترى
تهفـو إليها رغـبة تـنقـادُ
يا قدس ما في عيشنا من لذة
وعلـى ثـراك الطـاهر الأوغـادُ
يا قدس ما في عيشنا من رغبة
حتـى لـك المجـد القـديم يعـادُ
أرض بناهـا الفـاتحون بجـدّهم
وبعزمهم ساسوا الأمور وسادوا
وبنـوا بهـا للعلـم أرفـع هامـة

لله مـــا زرع الجـــدود وشـــادوا
منهـا الحضـارات استقت ميراثهـا
واســـتنكر الجُهَّـــال والـــحُسَّادُ
وبهــا صــلاة المرســلين جمــيعهم
وإلـــى ثراهـــا الحشـــر والميعـــادُ
كـم مـن عظـيم مـن ملـوك زمانـه
أهـــوى إليهـــا همـــه الوقـــادُ
وعلـى ثراهـا الجـيش يبلـغ حتفـه
مـــن أجلهـــا يتتـــابع الأجنـــادُ
كيمـا يطهرهـا وينْقِــي أرضــها
مـــن حفنـــة عنوانهـــا الإلحـــادُ
لمـــا تراخينـــا وشـــتت شـــملنا
حملـوا علينـا المرهفـات وعـادوا
وجـدوا أسـوداً إنمـا فـي نومهـا
فمتـــى متـــى تســـتيقظ الآســـادُ
ومتــى متــى بــالله نســرج خيلنــا
حتـــى تجـــول بنـــا وهـــن جيـــاد
ومتـــى ترفـــرف فوقنـــا خفاقـــة
رايـــات نصـــر، عـــزهن يـــرادُ
حتـــى يـــرى المحتـــل أنـــا أمـــة
ماشـــذ عـــن تاريخهـــا الأحفـــادُ

عُلماؤنا

هُمُ الذينَ حَمَلوا مشاعلَ النورِ، فـأزاحوا ظلمة الأفهام، وهم الـذين استوى الليل عندهم والنهـارَ فـي طلـب العلـم، وهم الـذين أفنوا شبابهم في ما من شأنه الرفعة في الـدنيا والآخرة، و بحبهم يُمْتحنُ المرء.

مِنْ سَمْتِهِم يُؤخذُ الخُلُقْ، ومن دروسهم وحِلَقِهم يؤخذ العلم، نقياً مُصفّى لا تَشوبه بدعة، وهمُ الذين أعرضوا عن الدنيا - مع تمكنهم منها -، وأقبلوا على الآخرة رغبة فيما عند الله للمحسنين فيهـا، ولا نُثنِـي علـيهم إلا بمـا علمنـاه مـنهم، هكـذا نَحْسَـبهم والله حَسِيبُهمْ، ولا نُزكّي على الله أحدا.

سَــــلّم علـــــى أهـــــل التُقـــــى
أهـــــل الفضـــــيلة والنّقـــــى
وذوي العــــــــلا والمُرتقـــــــى
تسليـــــــــم حُـــــــبٍ دائـــــــمِ

* * *

فَهُـــــمُ الـــــذين إلـــــى العــــلا
صَــــــــعدوا فصــــــــاروا أولا
مــــــا فيهــــــــمُ كَــــــلٌ ولا
فـــــيهم خبيــــــثُ مَطـــــاعمِ

* * *

فهـــــمُ النّجــــــوم لمثلنـــــا
إن واحــــــدٌ مِنـــــا دَنـــــا

زادوه نــــــــــوراً وسَــــــــــنا

مــــــن نــــــور حـــــقٍ دائـــــمِ

* * *

عُلماؤنـــــــــــا أعنـــــــــــيهمُ

مِـــــن كــــــل مـــــا يــــــأتيهمُ

بـــــــــــدمائنا نفـــــــــــديهمُ

مـــــن كــــــل شــــــرٍ قــــــادمِ

* * *

مَهَـــــــدوا الطريــــــق لغيــــــرهمْ

بدروســـــــــــهم وبِكَـــــــــتْبهمْ

قــــــاموا بــــــنهج نبــــــيهمْ

أكــــــرمْ بهـــــم مـــــن قــــائمِ

* * *

بعلـــــــومهم سُــــــدنا الـــــــدُنا

ســــــادوا فســــــدنا كلّنـــــــا

فــــــإذاً لهـــــمْ منـــــا الثنـــــا

مـــــا هــــــلّ قطـــــرُ غمـــــائمِ

* * *

مـــــا كــــــان همهـــــمُ الرقـــــادْ

عُرفــــــوا بجــــــدٍ واجتهـــــادْ

وعـــــــزائمٍ غـــــــرٍ شِــــــدادْ

ليســــــتْ بعـــــزم النـــــائمِ

* * *

دُنيـــــــاهمُ جـــــــادوا بهـــــــا
أخـــــــراهمُ ضـــــــنّوا بهـــــــا
وعلـــــــومهمْ ســـــــبقوا بهـــــــا
فكُســـــــوا جميـــــــل عمـــــــائم

* * *

يـــــــا ربنـــــــا فـــــــاحفظهمُ
ذخـــــــرا لنـــــــا واعصـــــــمهم
وبـــــــجنةٍ أكـــــــرمهم
فيهـــــــا عظـــــــيم نعـــــــائمِ

* * *

واغفـــــــر لمـــــــنْ قـــــــد رَحَلَـــــــوا
وأعطهـــــــم مـــــــا أمِلَـــــــوا
مَنـــــــاً، ومـــــــا قـــــــد ســـــــألَوا
مـــــــن جنـــــــة ورحـــــــائمِ

* * *

فالحمـــــــد لله قضـــــــى
وإذا قضـــــــى أمـــــــراً مضـــــــى
فالشـــــــكر مِنّـــــــا والرضـــــــى
لا فِعْـــــــلَ قلـــــــبٍ شـــــــائمِ

* * *

كـــــــمْ طالـــــــبٍ للعلَـــــــم جـــــــا
يســـــــعى إلـــــــيهم فَنَجـــــــا

وبـــــــــالعلوم تَوّجـــــــــا
مـــــــا عـــــــالمٌ كـــــــالواهِمِ
* * *
لـــــم تَلهِـــــهِ دُنيــــاه عــــنْ
دُروســـــــــهِمْ ولا الفـــــــتنْ
كــــــان ذكيـــــاَ ففطـــــــنْ
لـــــيسَ الجَهـــــولُ بســـــالِمِ
* * *
فـــــــالعُمرُ إنْ قَضَيـــــــتَه
فــــي اللّهــــو أو أمضَــــيْتَه
فــــي الجهــــل مــــا رَعَيْتَــــه
فـــــلا تكـــــنْ كالنّــــادمِ
* * *
العلــــــمُ مِيــــــراثُ النّبــــــي
الهاشـــــــميّ اليعربــــــــي
الطّـــــــاهِرِ المُحَبّـــــــــبِ
مـــــا كـــــان جَمْـــــعُ دراهِـــــمِ
* * *
فخُـــــــذ بحـــــــظٍ لا تَنــــــي
أو تُحـــــــبَطَنّ فتنثَـــــــني
لا تــــــرضَ بـــــالأمرِ الـــــدّني
أو تــــــرضَ عَـــــيشَ النـــــاعمِ
* * *



زاحِـــمْ إلـــى العلـــمِ الصّـــحابْ
وارقَ علـــــى هـــــامِ الصّـــــعابْ
لا تَقْعُـــــــــــدنّ ولا تهـــــــابْ
مـــــا فـــــازَ غيـــــر مُـــــزاحِمِ

* * *

العيد البعيد

عندما قضيت العيد بعيدا عن بلادي، وافتقدت العيد الذي كنت عهدته طوال عمري، ونظرت حولي فإذا بي وحيدًا بين الناس، أما الأصحاب فقد سافروا لقضاء العيد مع أهلهم وذويهم وأما من أعرفهم من أصدقائي هنا فلم يُغْنِ ـ مع حبي وتقديري لهم ـ التفافهم حولي شيئا، فقد كان جسدي هنا أما قلبي وعقلي فهناك...

حنانيك من ذكرى غريب مسهّد
قضى العمر ما بين رجاء وموعدِ
طوت فيه أيام النّوى كل فرحة
ويُبِّسَتِ الآمال في قلبه النّدِي
وأضحى يرى أن الحياة مرارة
فما لم يكن يغذوه لا شك يرتَدِي
رمى الهمُ في عينيه شؤم مناظر
وأغشى على قلبٍ جريحٍ منكّد
ينام إذا نام الأنام على الأسى
ويصحو عليه فالأسى فيه سرمدي
تقرحت العينانِ والخد خدّدت
وفي القلب طوفان من الهمّ مزبد
وقد كانت الإيام إذ كان ودها
من الشهد أحلى لذة في الفم الصّدي
ومازالت الأيام في الركض دولة

إلــى أنْ أظلــت كــل رأي مســدد[١]
فشـردت الأذهـان والقلـب مـدرك
ومــالـــت بلـــب العاقــل المتوقـــد
فحتـــى متـــى لا أســـتلذ بلـــذة
بهـا لـيس لـي فيهـا الزمـان بمرصـد
أتى العيد أو لم يأت فالأمر واحدٌ
هــل العيــد إلا بـــين أهــل وعُــوّدِ
تزاحَمَت الأمصار بيني ومؤنسي
وحالــت قفــار ممحــلات وجــرّد
أرى الناس تكسى حلة العيد فرحة
ونشــوانة تمشــي إلــى كــل مســجد
جديــدٌ كســاء المرتــدين بأعيــُنٍ
ولكـــن بعينـــي كـــل زيٍ مُوَحّـــد
تركت بأرضي كل عرق ونـابض
فما السّعْـدُ في قلبي وما الحلّ في يـــــــــــدي
ولو كنت مختارا لما غبت تاركاً
بــلادي وفيهــا مــا أحــب وأفتــدي
فلا عاد لي عيد إذا لم أكن به
محاطـاً بأحبـابي وفـي أرض مولـدي
وقـد يـدرك الإنسـان جـل مـراده
ويلـــوي أعنـــة همـــه المتمـــرد
مثـــابرة لا رغبـــة فـــي ســـلامة
ونأيـا عـن الأمـر الأحـط الأوهـد[٢]

---

(١) في تلك اللحظة كنت أرى أن تركي لوطني والدراسة خارجه من فساد الرأي، لما كنت فيه من الضيق والحزن الشديد، أما الآن فلا، ولله الحمد.
(٢) أعني به الجهل.

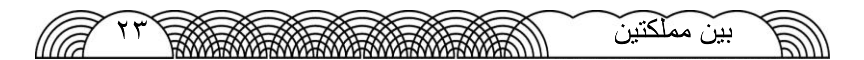
شكواكَ شكواي

أعـاذل[١]، أخفـي علـة فـي تعلَلِـي
ووجـــدًا أعالجـــه ببـــرد التجمّـــلِ
وقلبـاً لجوجـا أثقـل الصـدرَ نبضُـه
وأثقلـــه همـــي فقـــل تحمُّلـــي
أرى الدهر مـا أرجـوه يُشقي بلوغـه
وأمــا الــذي أخشــاه فــاليوم مُعجلــي
إذا كان شوق الناس في الناس قسمةً
ولــيس بــذي حَيْـفٍ فــأنعم وأفْضِــلِ
لأن الـــذي أخشـــاه أنـــي معـــذب
وغيـري لـه شـوق ولـيس بمُـثقَـلِ
نــذيركَ ممــا أشــعلَ الـرأسَ طلعُــه
وإيـاك أعنـي يـا أخـا النصـح فاقبـل
مــن العشــق فاحــذر إن أثلــة أهلــه
ممزقـــة الأشـــلاء فـــي كـــل منـــزلِ
وأعنيــك فــاتبع كــل رأي مســـددٍ
وأهل التجارب من ذوي العلم فاسأل
فــإني رأيــتُ الـنفس والعلـم عزهـا
وإنــك مهمــا تــُنزل الــنفس تنــزلِ
فضعها إذا ما شئت في خير موضع
وصنها عن التدنيس والخير فاعملِ

---

(١) أي: يا عاذلي.

مناط بك التكليف إذ كنتَ عاقلا
ووتراً إليك الخير من خير منهلِ
فيا سعدُ، إن ألفت ليالٍ بنحسها
وبان بها ضعف وتيهان موئلِ
وصار بياض الصبح يحموم ليلة
وأصبحت فرداً في خضم ومحفلِ
وجاءت لك الدنيا تجر جيوشها
وأرست لها في كل فجّ بجحفلِ
وأدركتَ أن الحظ فيها كأنه
دقيق هَباء في يدِ المُتنخّلِ
فهل كان للحاجاتِ إلا مُظفراً
تنوء عليه كل يوم بكلْكلِ
يعالجها ما يستطيع علاجها
فيصبر، صبر الواثق المتعقلِ
ويعلم أن الدهر في الناس دُولَة
وأن البلى نار وكل لها صَلِي
فؤادي قريب منك يا من أجلّه
وإنْ كانت الأجساد منا بمعزلِ
أعاني الذي عانيتَ في كل لحظة
ويحلّ مني كل عظمٍ ومفصلِ
وأغلقتُ أذني عن حديث وشايةٍ
ولم أرعوي يوماً لما قال عذّلي
ترى الناس فينا بين واشٍ وحاسدٍ
وبين غوي في السفاهة مغولِ
فيا بهجة الأيام زوري هُنَيْهَةً



فإنـّا مـن الأحـزانِ فـي جـوفِ معـْقلِ

فبُــشراك مــا هــمّ يــدوم وإن قســا

ولا ليــل، إلا قيــلَ بالصــبح ينجــَلي

فكــنْ كالــذي يفــدي بكــفٍ فــؤادَه

وقــال لســهم الغــدرِ فاتــك مقتلــي

* * *

البريد الوارد

كتبتها رداً على صاحب عزيز جداً عندي حينما رأيت رسالته في صندوق البريد الوارد في هاتفي الجوال، شاكياً فيها نسياني له و لما بيني وبينه من الصحبة القديمة، ويسألني كيف كانت أموري بعد تركي لزوجتي فترة الإجازة الصيفية لتقضيها مع أهلها في المملكة، وعودتي للدراسة في الأردن، فبينت له إجلالي له في أربعة الأبيات الأول، ثم أجبته عن حالتي وختمت القصيدة بنصحي له و أرجو أن يكون الجواب شافياً وافيا...

حركتَ أشجاني وعاود شاردي
بوضوح خطٍ في البريد الواردِ
لكَ في فؤادي ألف ألف محبة
رُصّت كآهاتٍ بليلٍ شاهدِ
إنْ فُرقت أجسادنا فقلوبنا
شهد الإله، على طريقٍ واحدِ
وإذا سئلتَ - على الفراق - تَجلّهُ
عندي مقولة (لا) جواب الحاسدِ
طُبع الفؤاد على محبة أهله
حتى وإن لم ينسبوا للوالدِ
شتّان بين محبة أزهو بها
ومحبة المتكلفِ المتكاودِ
وأخفّ منها لم أجدْ بـرْدا على
كبدي، وثقلاً للخفي الحاقدِ
يا بـرْد أيام الربيع وطيبها
وزهورها ونمائها المتزايدِ

عـرّج عليهـا إذ وُعــدْت مواعـداً
بــان الجفــاء بهــا وزور الواعــدِ
عُلّــقت منهــا بــين قــولٍ صــادق
تــُلقيه فــي أذنــي وفعــل جاحــدِ
ورُميـت منهـا كـل سـهم صـائب
إن صوّبَــت نحــوي بطــرف ساجدِ[1]
منهــا بقلبــي كــل جــرح نــازف
زادت عليــه بنكــإ جــرح خامــدِ
وبــيَ الســرور لفعلهــا ولقولهــا
أرأيـت مثلــي مـن جـريح حامـدِ
أحببتهـــا إذ كـــان داري دارهـــا
ففراقهــا عنــدي كوجــْد الواجــدِ
إنـــي لأشـــتاق العبيــر عبيرهـــا
شـوق اليتـيم لـدفـء حضـن الوالـدِ
وأحـسّ فـي نفـْسي إذا مـا أطريَـتْ
عَبَقــاً يذكــّرني بطيـب معاهـدِي
مــا كــان رأيــي راشــدٌ فــي تركهــا
كــلا ولا أســعفتُ رأي الراشــدِ
فلـــذا بكيـــتُ مـــرارة ولعلنـــي

(١) قال ابن منظور في اللسان، الإسجاد: فتور الطرف، وعين ساجدة إذا كانت فاترة. قال كثير:
أغركِ منـا أنّ دلّكِ عنـدنا   وإسجاد عينيك الصيودين رابحُ.

أجـدُ الـدواء بـدمع عـين بـاردِ
أبـدَتْ جفـوني خافيـاً مـن حرقـةٍ
لَفَحَتْ، وفـي كبِدِي لهيـب مواقدِ
خفيـت معـاني أن تكـون محبـة
وبــدت مســاوئها بعــين الناقــدِ
لـي مـن معانيهـا معـاني وصـلها
أمـا الفعـال فعـال قلـب الزاهـدِ
نِيطَـت بكـل شـريفة أوصـالها
وأبَـتْ ورود ميـاه قعـرٍ راكـدِ
ولنـا معـالم فـي الطريـق تـدلنا
أكـرمْ بحسـن فعالنـا مـن قائـدِ
وإذا بُـليت فـلا تكـن متقاعسـا
عـن نَيْـل أبـراج المكـان الرائـدِ
فـإذا وصـلت فكـن حمـوداً شـاكراً
وأعـن لـذلك كـل حُـرٍ صـاعدِ
وجـزاء ذي هَـمٍ يصـاحب هِمَّـةٍ
مُتطـاولاً عـن كـل كـلٍ قاعـدِ
إنّ الكـرام كريمـة أفعـالهم
تسـمو بهـم عـن كـل فعـل فاسـدِ
وإذا رمتـك سـهامها فاصـبر لهـا
فالصـبر حمـدٌ فـي الزمـان الخالـدِ
ولكـل حـيّ فـي الـبلاد مصـيبة
واسـأل خوالـف كـل حـي بائـدِ
ولـئن جُـعِلـنا عـين كـل بليـة

زَمَـناً فـتَنِعْم الأجر، أجر الحامدِ
تــأتي بســوء ظــاهراً ولعلهــا[١]
أخْـــفَت ثناياهـــا جليـــل فوائـــد
فإذا هُـمِـمْـتُ ذكرْت أياماً مضت
أيــام صـــحبة كــل شـــهم ماجــدِ
وإذا ســلوتُ نســيتُ أيــام الشــقى
ومضيتُ أنكُتُ ساعداً فـي ساعدِ

---

(١) المقصود البلوى في البيت السابق.

أنـْهـار

حُلّـي مـن الـرّق القـديم إسـاري
واطوي خيوط الفكر من أفكاري
أمسـيتُ لا أدري أأنـتِ كَليمتـي
أم أنـه طيـفُ الخيـال السـاري
إنـي وجـدتُ حـلاوة العشـق الـذي
وُعـد الأحبـة لحظـة اسـتعباري
ووجـدت كـل جميلـة مـن وصـفها
ترنـو إليهـا كـل ذات خِـمارِ
أيقـنْتُ أنـي غـارق فـي حبهـا
فـي لَـج نهـر جـارف مهـدارِ
أطفـو وأغطـس ثـم أطفـو تـارة
أخـرى وأغطـس فـي الغـدير الجـاري
وتجرّنـي الأمـواج فـي جنباتهـا
وتصـبني فـي ملتقـى الأنهـارِ
هـل لـي إليـك شـفاعة ممزوجـة
بخمائـل الأشـعار والأزهـار
ألْقِـي إلـي بقشـة أنجـو بهـا
أو شـعرة مـن سـطوة التيـار
أو فاضـحكي لـي ضـحكة أو بسـمة
لتزيد من عزمي ومن إصراري
إنـي إذا مـا مِـتّ كنـتِ شـريكة

لا، ما وجدتُ لدى معايشتي الورى
في قتلتـي بـل فـي دمـي فـي ثـاري

يـا مـن يبلغهـا رسـالة عاشـق
أنكـى لجرحـي مـن رؤى تـذكاري

أنْـآهُ عنهـا حظـهُ ولربمـا
متجلّـد متصـبّرٍ مغـوارِ

كتـب اللقـا بعـد الفـراقِ البـاري



الــتّـغـريــد

مَغانِيـــكِ تـــرويحٌ إذا مـــا أعـــذَبُ
وذكـراكِ تغريـدٌ لـه القلـب يطـربُ
فأنـــتِ حيـــاةٌ للفـــؤاد ونشـــوةٌ
وأنـتِ سلـوٌ عنـدما القلـبُ يُكـْربُ
فلقيـاكِ مـا أرجـوا ولقيـاكِ أشـتهي
وتقريـب داري مـن ديـاركِ مطلـبُ
متـى تجمـع الأيـامُ مـن شـتّ شـمله
علـى فـرَقٍ ممـا يكـون ومَهْـربُ
وهلْ فـي ثنايـا الغيـب أنّ اجتماعنـا
حيـاة لروحينـا وشـيءٌ مُحبـبُ
فـرُبّ كَريـهٍ غيّـر البعـدُ وجهَـه
ورُب سُـرورٍ مـن بعيـد يُقـرّبُ
نشـأنا علـى أنّ القلـوب اجتماعهـا
على مـا تُحب الرّوح أو مـا تُرغّبُ
وعلّمَنـا دهـر أديـرت فصـوله
بـأنّ فـراق الحـب مـا لـيس يُشـعبُ
وأنّ سُـــروراً تعتليـــه مـــرارة
لكالصـــادئ الظـــامي علـــى المُـــرّ يَشـــــــــــــــــربُ
فلـيس يُطيـق الجـوع والحـر والظمـا
ولـيس لـه ممـا يعانيـه مهـربُ

فمـا كـان مـا تَرجـو دَعـوتُ لأجلـه

فعـــلّ دعـــاءً مِـــن خليـــلٍ يُقـــربُ

أنـــا منـــك ممـــا تشـــتهي مـــا تـــحبه

ويغضـبني يـا روحُ مـا منـه تغضـبُ

مَعينِـي الـذي مِنـهُ ارْتويـتُ وزادنـي

ويُنبوعي العذبُ الذي ليس ينضبُ

وممّـــا ألاقـــي فـــي الجُفـــون تقـــرّح

وفي الجسم آثارٌ وفـي القلب مِخلبُ

أواري الـــذي تُبديـــه عينـــي تحســـباً

ففي القلبِ معذورٌ وفي العينِ مذنبُ

إذا أقبـل الليـلُ الـذي مـلّ صُـحْبتي

تَطـاوَلَ حتـى لـيسَ للـنّجم مَغـربُ

* * *

الــوداع

يــا أيهــا القلــب المُشــيح وداعــا
بُنيــان قلبــي يــا حَبيــبُ تــداعَى
خلّفْتَ ذا مِقَـةٍ[١]، وكُنـتُ مسـافراً
فــأجدْتُ فـي سـفْكِ الدموع سِراعا
لله مــا خلّفــتَ قلبـــي عـــامراً
وأشـــدتَ فيـــه مـــدائنا وضِـــياعا
وزرعتَهــا مــا تشــتهيه نُفوسُــنا
وعمــرت أبراجــا بهــا وقلاعــا
لمّــا رحلّــت تزلزلــت وتهـدّمت
وأحلّتهــا بعــد العَمَــارِ ضَــياعا
فالعــذرُ ممــا لا أطيــق وأتقــي
مــن ذا الــذي فـيكم يُطيـق وداعـا
أعرضـتُ إعـراضَ الـذي لـو أنـه
أهـوى يُريـد سَـماعكم مـا اسـطاعا
أيكـونُ قلبـي فـي غياهـبِ كُربـة
وتُطيــق آذانـــي الفِــراق سَـــماعا
أعلمـتَ لـو أنّ الـذي فـي خـافقي
فــي لــُب صــخْر جَامِـدٍ لالتــاعَ[٢]
قـد كـادَ مـا أرجـوه يَـدنو خَطـوه

---

(١) من المقة وهي المحبة.
(٢) من اللوعة.

وتَخِـذَتُ[١] حُبّـيكُم إليـهِ مَتاعـا
فـاليوم لا أنْـتمْ ولا مـا أبتغـي
بِنْتـُم وأحـلامُ القلـوب تِباعـا
بنْـتُم فمـا جنْبـي يُـواتي مَضـجِعي
ودُموع عَينِـي فـي الخُـدود تسـاعى
ضَـاقتْ بهـا الأحـداقُ لمّـا أقبلَـتْ
سَـيلاً وقـد كانـت بِهـن وِسَـاعا
ومـن المحبـة مـا يكـون محبـة
ومـن المحبـة مـا يكـون طِباعـا
جُبلـت عليـه وللسّـريرِة وفقْـة
طَـوَتِ القلـوبَ عليـه والأضـلاعَ
يـا مُـدلِجاً والليـلُ يكسـو خَطـوَه
وصـدى خُطـاه يُوافـق الإيقـاعَ
مـا كُـل مـا تَخشـاهُ يـأتي بالـذي
تخشـاه مِـن أمـرٍ عليـهِ مُشـاعا
وإذا نأيـتَ فكُـلّ حَـيٍ عَائِـدٌ
كَـرواحِ طيـرٍ مـا غَـدونَ شِـباعا
تَرَكَـتْ أجنّتهـا خِماصـاً خَلفهـا
وغَـدَتْ لدَى طلبِ المَعيشِ جِياعا
لله سـابق حِكمَـة فيمـا قضـى
ومـن التأمـل مـا يَكـون شُـعاعا
للمـرء يهديـه الـذي هـو تائـه
ويَقيْـه طِيلَـة دهـرِهِ الأوجـاعَ

---

(١) أي واتخذت حبي لكم.

أيــن الــذي وعــد الأحبــة قبلنــا
مـــدوا جميعـــاً للمحبـــة باعـــا
فتنيــل بعضــهم وتحــرم بعضــهم
جعلــت بــذلك زعزعــا ونزاعــا
صــرعى علــى طــرف الطريــق تخـــــــــــــــــــــالهم
خاضــوا إليهــا رايــة وشــراعا

* * *



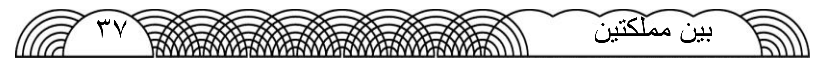
رَسولُ الشّوق

قليلة هي الكلمات التي تصف ما كنت أكنّه له، فقد كان مختلفا عن غيره، يميزه سمته وخلقه العالي، وحبه لسنة المصطفى ﷺ، وما أذكر أني قابلته أو جلست إليه إلا وهمس في أذني بنصيحة أو موعظة.

أراد الله أن يرفع درجته، وأن يعلي مرتبته، فابتلاه فكان من الصابرين، فما جزع وما تبرم، بل كان أشد موعظة وأوضح حجة وأثبت صبرا، و كنت قد أرسلت إليه هذه القصيدة - في حياته ومرضه- مواساة له، إذ كنت لا استطيع القدوم لزيارته، وأنا اليوم أسأل الله بمنه وفضله، أن يتقبله في الشهداء، وأن ينزله منازل الأولياء المقربين، وأن يعيضه عن حياته الفردوس الأعلى من الجنة، رحمه الله رحمة واسعة، قولوا آمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون...

إليكَ رسول الشوق في أبياتي
وعربون حب صادق الكلماتِ
ونشوة مشتاق إليكم مثاله
كطارق ليل تائه الطرقاتِ
ووالله إني راغب في وصالكم
جوادًا بنفسي سافحَ العبرات
تناءت دياري عن أناس أحبهم
هم النور لي في حالك الظلمات
بعيد عن الأنظار حين أديرها
قريب من الأنفاس والخفقات
فيارب إن كانت بلادي بعيدة

ودون لقـــى الأحبـــاب ألـــف فـــلاة
فأســبغ علــيهم باطنــاً ثــم ظــاهراً
نعـــائم خيـــر وافـــر وصِـــلاتِ
وخـص بفضـلك مـن إليـه رسـالتي
وأنعـم عليــه خلــف كــل صــلاة
حمـــدت إليـــكَ الله لا رب غيـــره
وأثنـــي عليـــه مُنْـــزِل الرحمـــات
إذا سـلب الـرحمن أسـباب رحمـة
أعاضــك عنهــا رفعــة الــدرجات
ويكفيـك أن الله عافـاك فــي التقــى
فلــم تخلــط الإثبـــات بالشـــبهات
أعيــذك بـــالله الـــذي جــل شـــانه
مــن اليــأس أن يأتيـك والحسـرات
وزادك إيمانـــــا وزادك رفعـــــة
وأعقـــب عفـــوا طيـــب التبعـــات
وأوفـى لـك الأحبـاب مـن كـل جانـب
تـرى ودهـم فـي مـدرج النظـرات
وما زلت أشكو البعد هل أنت عاذري
وأشـكو ضـياع النـور فـي مشـكاتي
وســائل ســكون الليــل عمــا أبيحــه
إذا ســرت فيــه مثقــل الخطــوات
أمـا كـان لـي وجْـدٌ أمـا كنـت باكيـاً



لأهــل مســاكنهم ذرى الســروات[1]

فيــا قــاطع الآفــاق كــالريح مرســلاً

ويــا صــاحب الأضــعان والــرحلات

أحملـــك الوجـــد الـــذي لا أطيقـــه

وأشـــواق قلـــب شيِـــكَ بالآهـــات

فكـــن لـــي وبلغهـــا الـــذين أحـــبهم

وزدهـــم ســـلاما طيـــب البركـــات

---

(١) المقصود محافظة سراة عبيدة.

حـنـيـن

أذكر أني سألت صديقاً لي ـ وكان قد ولد له مولود ـ فقلت له كيف تصف لي فرحتك وحبك لهذا الضيف الجديد؟ فقال: حب يصعب علي وصفه، إنه حب جديد.

وصدق فهو حب ليس كمثله حب وهو شعور لا يوصف، يزيد مع الأيام ولا ينقص، حب لا تحاصره الشروط، شيء أوجده الله في حنايا قلب الوالد لمولوده، تخالطه الرحمة، وتصحبه المودة، وتحيط به الشفقة، وتحوطه العناية.

لن يعرف معنى هذا الشعور إلا من كان عاشه من قبل....

طفلتي يا نور عيني، وفؤادي وحنيني

طفلتي يا نبتة الحب، وعطر الياسمينِ

طفلتي يا قطعة مني، أرى فيها سنيني

وأرى فيها جمالاً وكمالاً ودلالا

* * *

طفلتي عندي كروحي، فبكاها كجروحي

ورضاها أبتغيه فهو عندي كطموحي

لا تلمني، فلها وجه كبَدْرٍ في وضوحِ

أرأيت البدر، كالبدر إذا ما يتلالا

* * *

وُلدَتْ فانزاح همي، وانجلى كربي وغمّي



واتصــلت بــأبي أخبــره عنهــا وأمـــي
فرحَـا جـداً لأجلـي، وكـذا خـالي وعمـي
فبهـا عـم سـرور النـاس، أمـا الحـزن زالا
* * *
فلهــذا كلمـــا أبصـــرتها يَفْتَـــرُّ ثغـــري
فأظـل باسـماً فـي وجههـا مـا دام عمـري
لـو تركْـتُ الـروح طـارت، أو تركـتُ القلـب يجـــــــــــــــــري
أو تركت العين هلت، أو تركت العقل سالا
* * *
وإذا عـدت إلـى البيـت كلـيلا أو كسـولا
ضحكت لي ضحكة تبرئ من كان عليلا
وأتـت تنشـر حُضْـناً، أرتمـي فيـه قتـيلا
فكـأني قبـلُ مـا قـد عشـت كاللحظـة حـالا
* * *
وإذا يـــأتي طعـــام أقبلـــت تجـــري إلينـــا
أطعموني، أطعموني، ما طعمت الزاد حينا
أتريـــدون هلاكـــي، أيـــن منـــي تـــذهبونا
أيـن منكم رحمـة الوالـد؟ مـا تـلقون بـالا
* * *
وإذا تبكـي يكـاد القلـب يبكـي مـن بكاهـا
أو أتـــت تـــدمع عيناهـــا فآهـــا ثـــم آهـــا

مــلأت بالــدمع خــديها وبالآهــات فاهــا
فســـروري إن أرى أحزانهـــا أضـــحى محـــــــــــــــــــــالا

* * *

لـك يـا مقلـة عينـي كـل مـا تحويـه ذاتـي
ولـك مـا كـان منـي ماضـياً أو كـان آت
لـيس جـوداً، إنمـا أعطـي حيـاتي لحيـاتي
لـيس عنـدي مـا سـواها، إن لله الكمـالا[١]

* * *

إنْ يطل عمريَ أوكِلْكِ اهتمامي والرعايهْ
كي تكوني ذات دين، ذات علم ودرايهْ
أن تكـوني قـدوة مثلـى، فتلـك الجـد غايـهْ
ومثـالا عنـدما يضـرب للسـتر المثـالا

* * *

فخـذي عنـي مقـالي واحفظيـه يـا بُنـيّهْ
إنمـا يُعـرف طيـب الأصـل مـن سَـمْت الصـــــــــــــــبيهْ
دينكِ الإسلام، لا إشراك معْ رب البريـهْ
ثــم بَعْــدُ حققــي أركــان ديــن تتــوالى

* * *

يا ابنتي فلتحذري درب المُضلات الكبائرْ
واتقــي الــرحمن دومــا، واطرحــي عنــك الصـــــــــــــــغائرْ
إنهـا حالكـة سـوداء إنْ تغشـى الضـمائرْ[١]

---

(١) ليس عندي أغلى من روحي لأعطيها.

تهلك العبد و يلقى من معاصيه الوَبَالا

* * *

ثم صوني عن مقال السوء والفحش اللسانا

واتقي بطش قديرٍ، لا نراهُ و يرانا

إن خشيتي جهل إنسان فزيديه بيانا

إنما الصادق عندي أوضح الناس مقالا

* * *

يا ابنتي هذا قليلٌ من كثير في الضميرْ

إنما الحب كنبض القلب تخفيه الصدورْ

يا رحيق الزهر، يا أنتي، ويا روح العبيرْ

كلما استحسنت بيتاً فيك قال القلب: لا لا

* * *

---

(١) أي الذنوب.

العهد

لو لم يكن الوفاء بالعهد من الدين، لكان خُلُقاً نبيلاً، لا تتم المروءة إلا به، ولا يكتمل الخُلُقُ عند فقده، وقد كان من صفات العربي القديمة التي يعتز بها، ويفخر بها في شعره، ثم جاء الإسلام فأضاء هذا الجانب وحث عليه، و لم يقف عند هذا الحد بل إنه توعد من أخل به..

يقولون إن العهد دين على الفتى
وأن وفاء الدَّين لاشك واجبُ
وأن خلاف العهد يورث للفتى نفاقا
ومهما يصدق الناس كاذبُ
وإني إذا أعطيت عهدا وموثقا
وفيت ولو بالرأس عهدي ذاهبُ
ولست وإن أودى بي الدهر ناسيا
وإني أظن البر عندك راتبُ
فإن أنت لم تُوْفِ المحب طلابه
فغيرك عن بر الوفاء مجانبُ
وأسرع فإني ذاهب متوجه
إلى حيث ألْقَتْ رحلهنّ الركائبُ
إلى حيث لا أدري أحي فعائد
أم الموت للروح العزيز مجاذبُ
ألا ليتني أمسي من العمر ليلة
وليس يكدرها من الشؤم شائبُ

ولـيس يغيـب الـنجم فيهـا لطولهـا
ويحلـــو فيهـــا للخليـــل التعاتـــبُ
فللـــــه مـــــا أودت بـــــه جنباتهـــا
ولله مــا أبقــت عليــه الجنائـــبُ
فـأودت بمـا أودت بـه مـن جسـومنا
فمــا ضــرنا إن الجســوم قوالــبُ
وأبقـت لنـا عقـلاً وقلبـاً ومنطقـاً
كفـى بالـذي أبقـت عـدواً نحـاربُ
فبالعقــل نســتوفي علومــا نحبهـا
ونعلـم أنّـا فيـه سـوف نحاسـبُ
ونـــودع أشـــواق العفـــاف قلوبنـــا
ونجعلهـــا عـــذراً عليـــه نعاتـــبُ

* * *

غيداء

عندما ولدت غيداء، وهي ابنة أختي، كانت فرحتي بمقدمها لا توصف، فأرسلت هذه القصيدة إلى أبويها مباركاً لهما..

أوراقُ شعري فيك ما ذبلتْ
لكنما يا غادتي عجزتْ
لما سمَتْ فيك الصفات سما
شعري وأبياتي فما وصلتْ
والغيدُ يا غيداء سابقها
لم يعجز الإلهام بل وُصِفَتْ
بالله هذا الحسْن كيف أتى
هذي السمات الغر كيف أتَتْ
من والدٍ حُرٍ ووالدةٍ
أم أنها من كلٍ اجتمعتْ
شربَتْ من النهر الذي شربت
منه الحسان وغيرها ضمئتْ
أعدَدْتُ في عينيّ متكئاً
لودّها فلربما اتكأتْ
رباه قد طال الفؤاد جوىً
من بُعدها فلعلها اقتربتْ
وُلدت محبتها لدي كما
ولد الجمال بليلةٍ ولَدَتْ
أبصرتُ فيها كل فاتحة

للنـــور والإشــراق مــذ ضــحكَتْ
ويـــدق قلبـــي حـــين أبصـــرها
وإذا ســـمعْتُ فخفـْــقة خفقـــتْ
وســـمعتُ فيهـــا كـــل شـــادية
وتوقــف الإحســاسُ حــينَ دنــَتْ
مــن حبهــا أرســلْتُ فــي كبــدي
دمـــاً جديـــداً كالـــذي رَغِبَـــتْ
مــن حبهــا ألبســـْتُ ناضـــرها
ثوبـــاً جمـــيلاً كالـــذي وصفـــَتْ
وخلَعْــتُ مــا لــم تشــتهي نظــراً
ووطِئْتُ في الأرض التـي وطئَتْ
فـــإذا بمنزلهـــا الـــذي نزلَـــتْ
بـــالورد والزهــر الجميــل نبَــتْ
فإذا اجتَمـعْتُ بها ـ و حُقّ لنا ـ
فــاعلم بــأن مســرتي اكتَمَلَــتْ

* * *

الحجـاب

عندما يُترك الحجاب، أو يُتهاون فيه، تطوى بطيّه صفحة من صفحات هذا الدين الذي من ضرورياته حفظ العرض، وتكون بذلك الفتاة عرضة لكل ضعيف نفس، لا يلقي بالاً؛ بها ضحى أم بغيرها، وهي بذلك شريكة له في الإثم..

إلـــهيَ فاعـــذرني فـــإني مقصـــرُ
وأنـــت رجـــائي أن ســـتعفو وتغفـــرُ
إلـــهيَ واحفظنـــي مـــن الغـــي والخنـــا
واربـــط علـــى قلبـــي لعلـــي أضـــفرُ
أرى فـــتن الأزمـــان تنصـــب للفتـــى
شـــراكا وإنـــي لا أرى الغـــرّ يشـــعرُ
ففـــي كـــل درب يـــا أخـــا العلـــم رايـــة
ولـــيس يراهـــا القلـــب والعـــين تبصـــرُ
بكـــف فتـــاة رايـــة الحـــرب عنـــدها
كحيلـــة جفـــن العـــين، والخـــد أحمـــرُ
فمـــا خـــدها المحمـــر إلا دلالـــة
علـــى جمـــرة مـــن نـــار حقـــد تُسَـــعَّرُ
فإنـــك إن تتـــرك جمـــار خـــدودها
تصـــير رمـــادا بالريـــاح يُنـثّـــرُ
تُزيـــغ ســـفيه العقـــل يبصـــر ثغرهـــا
ولـــيس يـــرى الأنيـــاب فـــي الثغـــر تخطـــرُ
فـــلا يحســـبنّ الـــواردُ الحـــوضَ عنـــدها

بمــا صــدر الــراوون عنهــا سيصــدرُ
وإنــي رأيــت المــرء لا ديــن عنــده
ليوشــــك أن يغتــــر منهــــا فيعثــــرُ
وإنــي رأيــت الحــر يصــبر نفســه
ولــــيس إلــــى أن يبتلــــى ثــــم يصــــبرُ
فكـن مـا أردت اليـوم تجنـي ثمـاره
ويجنـي حصـاد الـزرع مـن كـان يبـذرُ
هــل الصــبر إلا ســاعة ثــم فرجــة
فعـود هـواك الصـبر والعـود أخضـرُ
فـإن أنـت لـم تصـبر وشِــبْتَ علــى الهــــــــــــــــوى
فلــيس يفيــد الصــبر والعــود أغبــرُ
وإنــك إن تصــبر تعــاض بجنــة
بهـا البـيضُ، بـيضُ الحسـن والطـرف أحــــــــــــــــورُ
فــلا تُحْــرَمَنْ هــذا النعــيم بصــبوة
تعــيش حياتــك بعــدها تــتَحسّــرُ

* * *

اعتراف ورجوع

يــا مــن إليــه لــدى النوائــب أفــزعُ
وإليـــه مـــن دور البلـــى أتوجـــعُ
طوِّقــتْ مــن شــر البليــة طوقهــا
فُــكَّ الإســارَ، إليــك ربــي أهــرعُ
نفـــسْ إلـــهي كُربتـــي ولعلهـــا
تـــأتي بخيـــر إننـــي أتضّـــرعُ
واغفـــر إلهـــي زلتـــي وخطيئتـــي
إنــي إليــك مــن المعاصــي أرجــعُ
إنــي أعــوذ بنــور وجهــك أن أرى
فــي شــقوة وأرى فــؤادي يُمنــع
إنــي أعــوذ بنــور وجهــك أن أرى
بــؤس الحيــاة ولا أَرى أتــمتعُ
جــودي أيــا عينــيّ حــرّى عبــرة
عــلّ الجــدارَ المحزنــي يتصــدعُ
علّــي أغــضّ عليــكِ أجفــان الرّجــى
فــأرى بــك مــا لا يــرون وأســمعُ
حتــى أرى مــا كُنْــتُ أرجــو ســابقاً
قــد كــان أشــتاتاً وهــاهو يُجمــعُ
أرشــدْ طريقــي نحــو كــل فضــيلةٍ
يــا مــن يضــرّ إذا يشــاءُ وينفــعُ

أســبغْ علــيّ مــن النعــائم مــا تشــا

واربـط علـى قلبـي إليـك المرجـعُ

* * *



جنّة الخلد

يـا جنّــة الخلـدِ والنعمـاءِ والأبـدِ
إنـي إليـكِ مـن الأشـواق فـي كمـدِ
إنـــي أعــيش زمانـــاً جلـــه نكـــد
يكاد يخلصُ عقلي فيه من رَشَدي
يـــا أبعـــدَ الله أيامـــا شـــقيتُ بهـــا
وأبلَـــغَ الله نفســـي كـل ذي سَـعَـدِ
فللشـــقاوةِ ذكـرى لســتُ أنســاها
حتـــى تُـــرمّ عظــامُ الــرأس فـــي لَحـــــــــــــــــدي
أصْبحت فيها وربّي موطنـاً خصبـاً
لكـل جـيش مـن الأوهـام والنكـدِ
أرى الأحبــة قــد شــدوا رحـــالهمُ
وخلفـوني وحيـد القلـب والجسـد
فقــدت بعــدهمُ رُشــدي ومنزلتـــي
وكنـت قبـل رحيـل القـوم ذا رشَـدِ
أعـيش بعـدهمُ الـذكرى ولوعتهــا
ولـيس لـي أحـدٌ يُلـوي علـى أحـد
أنــا الجــريح وقلبــي بعـدهم كَمِـدٌ
تكـــاد تخـــرج آهـــاتي مـــن الكبــد
فلـيس لـي بلـد فـي الأرض قاطبـة
إلا الـذي فيـه أحبـابي ومُحْتَــشَدي
سـأرحلُ اليـوم خلـف القـوم أتـبعهم

أظـل أتـبعهم مـا مُـد فـي أمَـدي

لعلنـي إن حثثـت السـير أدركهـمْ

أجلـو بمـرآهمُ عينـي مـن الرمـد

* * *

أمنية وطموح

كانت ومازالت دراسة الطب طموحي ومرادي الأول من العلوم التطبيقية، وهي التي من أجلها حزمت أمري وأعددت عدتي متوكلا على الله وضاربا في فجاج الأرض أبحث عن المكان الذي أدرس فيه هذا العلم الجليل، والناس حولي ثلاث فئات، مؤيد واثق ومحب خائف و عجول مترقب، حتى استقر بي المقام في الأردن، وأسأل الله أن أكون ممن خرج يلتمس علما..

أدني من النفس يا أقصى أمانيها
بالله لا تبرحي حتّى توافيها
أفنى المُجدّ المطايا في الطِلابِ وما
أرى المُجدّ يؤوسا أن يوافيها
ما مَلّ قلبيَ منها حين يطلبها
كلا ولا جسدي ذا زاهدٌ فيها
أزدادُ حين أراها في مخيلتي
حباً لها ولما مني يُدنّيها
فليحذر القوم أمثال الذي ذكروا[1]
من يوم قارعة يُفني أقاصيها
من يوم زلزلة يؤتى بأولها

---

(١) ولذلك فالواجب على الإنسان إحسان الظن بإخيه المسلم، وتقديمه على الشك والريبة، والتماس العذر له، لا أن يجعل من نفسه حكما على ما تحويه القلوب وتكنّه الضمائر.

فيـــه ويجمـــع أقصـــاها بـــدانيها

يكـــون فيـــه مـــوازينٌ ومســـألة

وثـــمّ جســـر جهـــنم ثابـــتٌ فيهـــا

ولا أخـاف علـى نفسـي الهلاك إذا

علـــى الهـــدى وســـبيل الله يأتيهـــا

فـالنفس إنْ ظَلمـت فـالله ناصـرها

والـــنفس إن عَـــدِمَتْ فـــالله مغنيهـــا

وهـو الـذي لسـبيل الحـق يرشـدها

حتـــى وإن غَوِيَـــتْ فـــالله يهـــديها

يـا نفـس تـوبي إلـى الـرحمن مـن زلـــــــــــــــــــــــــــــــل

ومـــن ذنـــوب عظـــام كنْـــتِ تاتيهـــا

الفطام

ذكرتُــكِ فاجْتــاب الفــؤادَ لهيــبُ
ففــي الصــدر منــكِ هــاتفٌ ومجيــبُ
وجدتُ فِطامَ العشق لا شيء مثله
لأصْــلِ حشاشــات الفــؤاد يــذيبُ
بعيدٌ عن الأسبابَ عندَ اجتماعها
وأمــا إذا مــا فُرّقَــتْ فقريــبُ
وقــدْ زاد أشــجاني مقالــة قائــلٍ
إذا رامَ عشــقاً فــالمَرامُ مُريــبُ
أفــاخِرُ أنــي مــا عشــقت لريبــة
إذ العشــق فيمــا قــد يَعيــب يعيــبُ
مُرادي بمنئىً عن مُراد عواذلي
بمنئــىً وإن ظــن الأنــامُ قريــبُ
ديــارٌ كــأن الشــمسَ تُشــرق دونهــا
إذا أشــرقتْ أو دونهــن تغيــبُ
أرانــي بعيدًا عــن بلــوغي ديارهــا
وعــزّ بلــوغَ لــيسَ ثَــمّ دروبُ
وما ثَمّ شيءٌ يُوصِلُ الشوق نحوها
ولــيس بريــدٌ ذاهــب ويــؤوبُ
أحمّــل أشــواقي الريــاح لعلهــا
تُبَلّغهــا الأشــواق حــين تجــوبُ
ونَحّيــتُ مــا دبّــتْ علــى الأرضِ
رجلُــــــــــــــــــه

وإنْ يُسـمعَ الأذنـين منـه وجيـبُ
إذا قلتُ شعرا ظنني الناس شاعرا
ومـا أنـا إلا عاشـق وحبيـبُ
أسائل عنها كل ريانَ خضرة
من البانِ عِرْقُ الماء فيه رطيبُ
إذا حنّ قلبي سال بالشعر أصغري
وإنْ يشـتكي ذو علـة فطبيـبُ
وحسْبُ امرئ يرجى لكشف معلة
وحسبُ امرئ في العالمين أديبُ
وما كنتُ ذا يأس وما كنتُ قانطاً
ولا رأيَ حتـى الآن فـيّ مُصـيبُ
أنا الخاسر المعذور والرابح الذي
وربـك مـا الإحسـان فيه يخيـبُ

* * *

سحابه

كتب لي صديق من اليمن أبياتا يصف لي فيها ما يقاسيه من التعب في التحصيل العلمي، وأنه اختار الطب الذي هو بطبيعته من أصعب العلوم طلبا وتحصيلا ومراجعة، وهو يصفه في أبياته بالسحابة البيضاء الناصعة التي من أجلها ترك الأهل والأقارب، وفي سبيل طلبها عانى المشقة والصعاب، وأذكر من أبياته:

"هي غيمة..
سكبت على قلبي مياه الحزن..
بعد أن طال الغياب.
هي غيمة..
راحت تفجر كل ما بي من مشاعر..
كي يرافقني العذاب.

وكان ذلك قبل دخولنا لمحاضرة الكيمياء الحيوية، فخرجت وقد كتبت له هذه الأبيات:

لا تشتكي طول الغيابْ
شكواكَ للأحزان بابْ
لما هويتَ سحابة
أبعدتَ عن أرض الخراب[١]
لا تحزننّ ودم على
ما أنت فيه من العذابْ
إن السمو إلى المعالي

(١) اخترتَ من الأمور أشرفها واسماها وهو طلب العلم.

فـــوق أنصـــال الحـــراب
وإذا هويـــتَ الغيمـــة الـــ
بيضـــاء مـــن بـــين الســحاب
فاصـــعد إليهـــا جاهـــدًا
لا تقعـــدن عـــن الـــذهاب
لا تقعـــدن عـــن الصـــعود
ولا تبـــالي بالصـــعاب
إن الصـــعاب مراحـــل
تفنـــى كمـــا يفنـــى الضـــباب
لا تجعلـــنْ دون المحبـــة
مـــن عواذلهـــا حجـــاب
إنـــي نصـــحتك والنصـــيحة
ديـــدن بـــين الصـــحاب
واذكـــر بـــأنيّ واحـــد
ممـــن أمـــرّهم العـــذاب
شـرب الحـلاوة بعـد مـر الـ
طعـــم مـــن مـــر الشـــراب
ذاق المحبـــة حلـــوة
وهـــل الحقيقـــة كالســـراب
عـــش فـــي أمـــاني وصـــلها
واركـب لهـا الجـرد الصـعاب

التحدي

إن الناظر في سِيَرِ العلماء والعظماء، ممن سطر التاريخ علمهم، أو أنارت بطولاتهم صفحاته، يجد أنهم سخّروا طاقاتهم وأوقاتهم و ما يملكون في سبيل نيل غاياتهم النبيلة، فأفنوا فيها شبابهم ولم يثنهم عنها شيء، فكأنهم في تحدٍ دائم مع أنفسهم، بل كانت كل عقبة تواجههم فيتغلبون عليها، سنداً وعوناً لهم على تجاوز ما يليها، وهكذا حتى يُتوج جهدهم بما يستحقون، كما هي سنة الله في الكون وعدله في خلقه...

جميـــل أن أرى حـــرا ســـعيداً

بعيـــداً عـــن معالـــجة القيـــودِ

جميـلٌ أن أكـــون فتـــى طموحـــاً

مثـــالا للتحـــدي والصـــمودِ

ألفـــتُ لـــدى مجـــابهتى صـــعاباً

تلـــين بقربهـــا صـــم الســـدودِ

وصـــرْت إذا أردتُ بلـــوغ أمـــر

أجابـــه دونـــه سُمـــر البنـــودِ

فإمـــا أن أقاتـــل عـــن حياتـــي

وإمـــا أن أغيّـــب فـــي اللحـــودِ

* * *

فـإن أنـا سيق لـي فوزي ونصري

أعـيش علـى ذرى المجـد التليـدِ

وإن أقتـــل فحتمـــا كـــان حتفـــي

ومـــا بشــر ســيبقى فـــي خلــودِ

وربــك لــيس شـــيء كــان عنــدي

بـــأحقر مـــن مقارعـــة اللـــدودِ

تعـــوّد سيفـــــي البتـــــار أنـــــي

بــه أقــوى مــن الجبــل الكــؤودِ

أميــل بـــه علــى خصــمي ونــدي

بقاطعـــة لـــدى حبـــل الوريـــدِ

* * *

وهــل هــذي المعــارك غيــرُ كــرٍّ

وفـــرٍّ مثـــل زمـــجرة الرعـــودِ

تـــُخيف الغـــرّ لا يـــأتي إليهـــا

وتقصــف هامــة الجلّــف العنيــدِ

هـــي الـــدنيا صـــروف وابـــتلاءٌ

فنـــاء وابتـــداء مـــن جديـــدِ

هـــي الـــدنيا علـــو وانخفـــاض

رُقـــيّ، أو حيـــاةٌ فـــي همـــودِ

ولـــيس بنائـــلٍ منهـــا منـــالاً

جـــَمود لا يمـــلّ مـــن الجمـــودِ

هـــي الـــدنيا فإمـــا أن أبـــاري

وإمــا أن أخلّــد فــي الخــُمودِ

تعــودْتُ الســباق إلــى المعــالي

ومـا اعتـدْتُ اللجـوء إلـى الركـودِ

طليــقٌ لــيس يملكنــي فضــاء

وتعجـزُ عن محاصـرتي حـدودي

أتــوق إلــى مكــان ثــم أعلــو

عليــه فـلا أمـلّ مـن الصـعودِ

إذا كُنتــي تريــدين المعــالي

أيـا نفسـي فجـودي ثـم جـودي

* * *

ممزِّقُ الغربة

يُمزّقنـــي ابتعـــادي واغترابـــي
كتمزيـــق اليتيمـــة للإهـــابِ
أرقّـــع مـــن فـــؤاد فـــي فـــؤاد
كترقيــع الثيــاب مــن الثيــابِ
فـــإن أبـــدو كمـــا أبـــدو فعـــذرا
فـراق أحبتــي هــو جُـلّ مــابي
فـــراق أورث الأحـــزان قلبـــي
وريث الصدق من مال المرابي
حُرمــتُ وصـــالكم إذ كنــت حِــلاً
فمــا هــو مكسـبي عنـد الإيــابِ
وإنـــي إذ أرجّـــي منـــك وصـــلاً
كمنتـزع الشـراب مـن السـراب

كطالـــب حُلـــوَ مـــاء فـــي أجـــاجٍ
ومُغْـــتلسٍ بـــلا قَـــبَسٍ شـــهابِ
يريـد المشـي فـوق الأرض هَونـاً
ويركـــب كـــل نابيـــة ونـــابي
لإن ضــيعتُ عشــراً مــن سـنيني
أريـدُ الوصـل يغرمهـا شـبابي
بحمـــد الله مـــا ضـــيّعتُ دينـــي

ولـــي عقــلٌ يبلغنـــي صــوابي

ولــــي فـــي مقبـــل الأيــــام هَـــمٌ

إليـــه مُســـدّدُ الآرا رمـــى بـــي

ســـــأبلغه وإن كانــــت صــــعاب

تـراوح عنـه مـن دون الصـعابِ

طريـــق كـــان مســـلَكها عســـيرٌ

ومبلَغهـــا عســـيرٌ ذو ارتيـــابِ

ولـــيس المـــرء يبلغهـــا إذا مـــا

يعـــالِجُ دونهـــا ســـمر الحـــرابِ

يعــالج غصـــة فيســـاق أخـــرى

ويكسى إن نجى حُمْرَ الخضابِ

ودون الأمــــر تبلغــــه الأمــــاني

ســـؤالٌ لـــيس يدركـــه جـــوابي

أمُســــــتبقى فأبلغـــــه قريبـــــاً

أم الآجـــال تـــؤذن بـــاقترابِ

لقـد ضـيعت حينـاً مـن زمـاني

فحـان الآن توديـع التصـابي

وبـــاب العفـــو ذو ســـعة ولكـــن

بصـــائرنا تُغطـــى بالضـــبابِ

نحـــب اللهـــو إذ كنـــا صـــغاراً

فَجُزنـا عنـه فـي زمـن الشـبابِ

وبينهمـــا مَســـالِكُ تلـــو أخـــرى

ويُخـــتم للـــذي تنهـــى ببـــابِ

إذا مـــا لـــم يكـــن للمـــر فيهـــا

نَصـوحٌ من أبٍ أو من صِحابِ

وبُـــدّل عـــن ثبـــات العقـــل جهـــلاً

وعـن طيـب الطبيعـة بـالخرابِ

فـــلا تعذلـــه إمـــا عـــاش ذلاً

ولا تعـــذره إمـــا قيـــل صـــابي

خاتمة

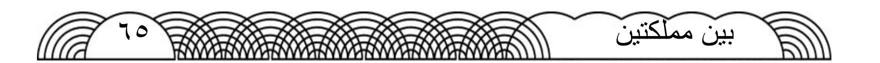
عزيزي القاريء...

كنت أُسائل نفسي وأنا أخُطّ هذا الديوان فأقول:

ترى ما الذي سيخلص به القاريء من ديوان شعر، ما الذي سينفعه منه في دينه أو في دنياه، وما الذي سينفعني أنا منه في ديني أو دنياي، وربما كدت ألغي طباعته لهذا السبب.

ثم نظرت في أمري فقلت لعل من القراء من يرى فيه ما يفيده، أو لعله يمر ببيت شعر يشحذ همته ويحيي فيه طموحه فيقوم قومةً تنفع الإسلام والمسلمين.

هذا واستغفر الله، من تقصيري وذنوبي، ما علمت منها وما لم أعلم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.



الفهرس